عنوان البرنامج: تقريب المذهب المالكي
الوحدة الأولى: مقدمات منهجية لتقريب المذهب المالكي
الدرس الثاني: تأصيل مفهوم التقريب(مداخل لغوية واصطلاحية ومفهومية)
اسم المحاضر: الدكتور عبد الله معصر

تأصيل مفهوم التقريب(مداخل لغوية واصطلاحية ومفهومية)

التقريب في اللغة

تدل مادة قرب في المعاجم اللغوية على التدني، قال ابن فارس: «القاف والراء والباء أصل صحيح يدل على خلاف البعد».

«والتقرب: التدني إلى الشيء والتوصل إلى إنسان بقربة أو بحق».

و«شيء مقارب:وسط».

و«التقارب: ضد التباعد».

والتقريب في عدو الفرس أن يرفع يديه معا ويضعهما معا في العدو، وهو ضرب من العدو دون الإسراع.

التقريب في القرآن الكريم

وردت مادة قرب في القرآن الكريم ستا وتسعين مرة(96) بصيغ متعددة هي: تقربا- تقربوا- تقربون – تقربوها – تقربوهن – يقربوا – قرَّبا- قربناه –قربه – تقربكم – ليقربونا – اقترب – اقتربا – اقتربت- قربة – قربات – قريب – القربى – أقرب – أقربهم – الأقربون – الأقربين – المقربون – المقربين – مقربة – بقربان – قربانا.

وتعدد الصيغ يدل على غنى المادة وتنوعها، قال الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات في غريب القرآن: «القرب والبعد يتقابلان.يقال: قرُبْتُ منه أَقْرُبُ، وقَرِبْتُه قُرْبا وقُرْبانا، ويستعمل ذلك في المكان، وفي الزمان، وفي النسبة، وفي الحِظوة، والرعاية، والقدرة».

فمن الأول (المكان) نحو: (ولا تقربا هذه الشجرة) [البقرة /35]...

وفي الزمان نحو: (اقترب للناس حسابهم) [الأنبياء/1]...

وفي النسبة نحو: (الوالدان والأقربون) [النساء/7]...

وفي الحِظوة: (عينا يشرب بها المقربون) [المطففين/28]...

وفي الرعاية نحو: (إن رحمة الله قريب من المحسنين) [الأعراف/56]...

وفي القدرة نحو: (ونحن أقرب إليه من حبل) [ق/16]

فمفهوم التقريب في القرآن الكريم يفيد الدنو.

وحين ندقق النظر في معناه المعجمي فإنه يدور على معان ثلاثة هي :

القرب بمعنى الدنو.

والقرب بمعنى المراقبة.

والقرب بمعنى الطاعة.

التقريب في الحديث النبوي الشريف

ومعاني التقريب في الحديث تفيد أيضا معنى الدنو، منها قوله صلى الله عليه في الحديث القدسي: (إذا تقرب العبد إلي شبرا تقربت إليه ذراعا...الحديث) [صحيح البخاري حديث رقم 7536]

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الدّين يسر، ولن يشادّ الدّين أحد إلا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا...الحديث) [صحيح البخاري حديث رقم 39].

التقريب في الاصطلاح:

اختلف مدلول مصطلح التقريب باختلاف مجاله التداولي:

فالتقريب عند أهل النظر: «سوق الدليل على وجه يستلزم المطلوب، فإن كان الدليل يقينيا يستلزم اليقين به، وإن كان ظنيا يستلزم الظن به، وهو مرادف التطبيق».

وهو عند المشتغلين بالمنهجية الأصولية والفقهية يدل عل جملة معاني:

منها: مقاربة اليقين في الاعتقادات والأحكام، أخذا بما ترشد إليه الأدلة والنصوص الشرعية، باعتبار درجة صحتها وثبوتها.

ومنها التقريب العملي: وهو الإتيان بالعمل المطلوب على وجه قريب من صورته المطلوبة.

ومنها الحكم التقريبي: ويقصد به حكم قريب من الحكم المحقق، ولكنه لا يساويه، ومنه قاعدة «ماقارب الشيء يعطى حكمه».

وقد يطلق عند الفقهاء في مقابل مصطلح التحديد.

وهو عند المشتغلين بمسألة الحوار بين المذاهب الفقهية الإسلامية يعني: السعي لإيجاد طرق وفاق بين المسائل الخلافية، من منظور التقارب وحسن التفاهم، وبما يوضح الفروق بين المسائل الخلافية الفرعية.

وهو عند بعض المشتغلين بالتراث الإسلامي من الفلاسفة المعاصرين الذين تعرضوا لتقويم منهج فلاسفة الإسلام من ترجمة الفكر اليوناني «هو وصل المعرفة المنقولة بباقي المعارف الأصلية» .

وقد يطلق مصطلح التقريب في الممارسة التراثية عموما، فيراد به التسهيل والتيسير مع التفريق بين المجالات المعرفية(لغة وعقيدة ومعرفة).

وقد يتداخل مصصطلح التقريب مع بعض المفاهيم كالاختصار.

وإذا كان لفظ التقريب يفيد الدنو من المطلوب، فمعنى هذا أنّ المقرِّب أو الممارس للتقريب يتوسل بمناهج مضبوطة ومحكمة، تستحضر سياق المخاطب، فتحفظ أسباب وصله بالمعارف المراد تبليغها.

فالتقريب وصل المخاطَب بالخطاب، والدنو منه، نتيجة استشكال مضموني ووظيفي للمعارف، باستحضار السياق التي تنتج فيه المعارف.

فالتقريب عملية تداولية يسعى من خلالها المقرّب إلى صياغة خطاب علمي، يستوعب المضامين البعيدة والقريبة للخطاب، يحيط علما بالوسائل والآليات التي يبلغ بها هذا الخطاب، ويراعي أصناف المتلقين، ومستوياتهم العلمية والفكرية، متوسلا في ذلك بشبكة العلاقات التي تحكم الخطاب، مع اعتماد النسق المتكامل، والمنهج التكاملي، وتحديد الثابت والمتحول، ورصد التطور الأفقي والعمودي بأبعاده: الخطاب، والمخاطب، والسياق.

وانطلاقا مما سبق فالتقريب منهج يبتغي النظر في الآليات تأصيلا، وتحصيلا وتوصيلا، وبيانا، وتقسيما، وتفريعا، وتبويبا، وتنقيحا وتقويما من أجل صياغة خطاب تكون الرؤية فيه واضحة، والمنهج علميا رصينا، ويعيد ترتيب النسق ترتيبا صالحا للتلقي مع تيسير منهج فهمه، وتعقل مضامينه، من أجل تمثل راشد وسليم للخطاب الشرعي.

المصادر والمراجع

- تجديد المنهج في تقويم التراث :طه عبد الرحمن،المركز الثقافي العربي،الطبعة الأولى1994م.
- تقريب المذهب والعقيدة والسلوك:عبد الله معصر سلسلة أبحاث ودراسات(1) مركز درا بن إسماعيل لتقريب المذهب والعقيدة والسلوك التابع للرابطة المحمدية للعلماء الطبعة الأولى 1433هـ/2012م.
- مجلة الغنية، العدد المزدوج (الثاني والثالث)، ربيع الثاني 1434هـ مارس 2013م، (ملف العدد المذهب المالكي وسؤال التقريب)